

خطاب خصم لحكومة الولايات المتحدة [1]

التاريخ:

14/05/2004

سيد جورج دبليو بوش: المليون كوبى الذين نجتمع اليوم في مسيرة قبالة مكتب رعاية مصالحكم، إنما نحن جزءاً يسيرأ فقط من شعب بأكمله ياسل ويطل بوده أن يكون جسدياً إلى جانبنا اليوم لو كان ذلك ممكناً.

لا يجتمع هذا الشعب في بادرة عدائية لشعب الولايات المتحدة، الذي نعرف جيداً جذوره الأخلاقية، جذور يعود منشؤها إلى العهد الذي هاجر فيه أبناؤه الأوائل إلى هذا الجزء من الكورة الأرضية. ولا بودنا أيضاً أن نزعج مسؤولي وموظفي وحراس هذه المنشآة الذين، تنفيذاً منهم لمهماتهم، يحظون بكل الأمان والضمادات التي يسع شعب مثقف وحضارى كشعبنا أن يوفرّها. إن هذا العمل الاحتياجي يعبر عن الاستثناء وعن الإدانة للإجراءات الوحشية ولا ترحم والقاسية التي اتخذتها حكومتكم للتوكض بلدنا.

نعرف سلفًا ما تفكرونله أو ما تستعون للحمل علىطن يمن يشاركون في المسيرة هنا. يتعلق الأمر برأيكم بجماهير مقهورة وتوافق للحرية قامت الحكومة الكوبية بإنزلالها إلى الشارع. تجهلون كليًّا أن الشعب الكريم والأبي الذي قاوم 45 سنة من عداء وهصار واعتداءات أعنيت فوًة وُجدت على وجه الأرض، لا يمكن لأي قوة في العالم أن تجرّه كقطيع، مكْبِلًا كل واحد منهم بحيل على رقبته.

إن أي رجل دولة، أو أحد يعتقد العزم على أن يكون كذلك، من واجبه أن يعلم أن الأفكار العادلة والإنسانية بالفعل على مدى التاريخ قد أثبتت بأنها أكثر جبروتاً بكثير من القوة؛ فمن هذه الأخيرة لم يعد يتبقى إلا خراباً هباءً ودنيئاً؛ أما من الأولى فتظهر ملامح مصيبة لا يمكن لأحد أن يطفيها. كل مرحلة كان وما يزال لها أفكارها، سواء كانت الأفكار الخيرة أم الشريرة، وجميعها أخذت تتراكم. ولكن المرحلة الراهنة التي نعيشها، في عالم همجي ولا حضاري ومعولم، كان نصيبياً أسوأ الأفكار وأكثرها شرّاً وجهلاً للمستقبل.

لا يوجد في العالم الذي تريدون حضرتكم فرضه اليوم أدنى فكرة عن الأخلاق، المصداقية، أحكام العدالة، المشاعر الإنسانية ولا أكثر المبادئ أساسية من مبادئ التضامن والشهامة.

كل ما يكتب عن حقوق الإنسان في عالمكم، وفي عالم حلفائهم الذي يشاطرونكم نهب كوكينا، إنما هو أكذوبة هائلة. آلاف الملايين من أبناء البشر يعيشون في الجوع، بدون ما يكفي من الغذاء والأدوية والملابس والأحذية والمساكن، ضمن ظروف هي دون الإنسانية، وبدون الحد الأدنى من المعارف ولا ما يكفي من المعلومات لإدراك مأساتهم ومساواة العالم الذي يعيشون فيه.

من المؤكد أن أحداً لم يبلغ حضرتكم كم عشرة من ملايين الأطفال والفتية والشبان والأمهات والأشخاص متوسطي العمر أو المتقدمين به ممن يمكن إنقاذهن يموتون سنوياً في "جنة أحلام عدن" هذه التي هي الأرض، ولا بأي وثيرة يتم تدمير الشروط الطبيعية للحياة، وكيف يتم خلال قرن ونصف القرن من الزمن تبذير ما احتاج الكوكب لثلاثمائة مليون سنة لتكونه من النفق، وكل ذلك مصحوباً بأثار ضارة مريرة.

يكفي حضرتكم أن تطلبو من مساعدكم المعلومات الدقيقة عما تمتلكه ترساناتكم من عشرات الآلاف من الأسلحة النووية والكيمائية والبيولوجية والطائرات الهاجمية والصواريخ بالغة الدقة في إصابة أهدافها بعيدة المدى والسفن الحربية وحاملات الطائرات وأسلحة التقليدية وغير التقليدية الكافية للقضاء على الحياة على وجه الأرض.

لا يمكن لحضرتكم ولا لأحد أن يغمض له جفن أبداً. ولا كذلك حلفاؤكم الذين يحاولون تحقيق التكافؤ في تطور ترساناتهم. إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المعامل المتدني من المسؤولية ومن الموهبة السياسية القليلة، والاختلافات بين كل من دولكم والحاافظ الذي لا يذكر على النعم، للانهياك بين البروتوكولات والاجتماعات والمستشارين، عند الذي يمسكون بمصير البشرية بأيديهم، فإنها قليلة الأمال التي يمكنهم أن يملكونها حين يدققون في ما تحولت إليه السياسة العالمية من عالم مجاني فعلي، بين مشدوهين وغير عائين.

الغاية من هذه السطور ليست الإساءة لكم ولا إهانتكم؛ ولكن بما أن حضرتكم عقدتم العزم على تخويف هذا البلد وإثارة الرعب في قلبه، وفي نهاية الأمر تدمير نظامه الاقتصادي-الاجتماعي واستقلاله، وحتى وجوده المادي إن استدعي الأمر، أرى أن واجباً أساسياً على تذكيركم بعض الحقائق.

لا تحضركم الأخلاق ولا أي حق يخوّلكم الكلام عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، ما دام عندكم ما يكفي من القدرة لتدمير البشرية، وتدميرها فرض نظام استبداد عالمي، عبر تجاهل وتدمير منظمة الأمم المتحدة، وانتهاك حقوق أي بلد، وشن حروب الفتح من أجل السيطرة على أسواق العالم وموارده وفرض أنظمة سياسية واجتماعية منحطة وأكل عليها الزمن تؤدي بالجنس البشري إلى الهاوية.

ولأسباب أخرى، لا يمكن لحضرتكم أن تذكروا كلمة ديمقراطية: لأنه، من بين هذه الأسباب، يأتي معرفة العالم أجمع أن توليلكم لرئاسة الولايات المتحدة كان يفعل الغش. لا يمكنكم أن تتكلموا عن الحرية، لأنكم لا تستوعبون عالماً آخر غير العالم المحكم لإمبراطورية رعب الأسلحة الفتاكـة التي يمكن لأيديكم فقيـدة الخبرـة أن تلقيـها على البشرـية.

لا يمكنكم أن تتكلموا عن البيئة لأنكم تجهلون كلياً بأن الكائن البشري يواجه خطر الزوال عن الوجود.

توجهون تهمة الاستبداد للنظام الاقتصادي والسياسي الذي قاد الشعب الكوبي إلى أرقى مستويات التعلم والمعارف والثقافة، بين البلدان الأكثر تطوراً في العالم؛ والذي قللـ الوفيات بين الأطفال إلى نسبة أدنى مما هي عليه في الولايات المتحدة، والذي يتلقـ مواطنـه مجانـاً كلـ الخـدمـاتـ الصحـيةـ والتـعلـيمـيـةـ وغـيرـهاـ بالـلغـةـ الأـهمـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـإـنسـانـيـةـ.

يضحـيـ مضـيـعـةـ لـلـوقـتـ ومـيـعـةـ لـلـضـحـكـ سـمـاعـ حـضـرـتـكـ تـتـكـلـمـونـ عنـ حـقـوقـ الإـسـبـانـ فـيـ كـوـبـاـ هـوـ أـحـدـ الـبـلـدـانـ الـقـلـلـيـةـ مـنـ الـقـارـةـ الـتـيـ لمـ تـحـدـثـ فـيـهـ خـلـالـ 4ـ5ـ سـنـةـ حـالـةـ نـعـذـيبـ وـاحـدـةـ، وـلـ قـامـتـ فـيـهـ كـتـبـةـ مـوـتـ وـاحـدـةـ، وـلـ عـمـلـيـةـ إـعدـامـ وـاحـدـةـ بـدـونـ مـحاـكـمـةـ قـضـائـيـةـ، وـلـ حـاـكـمـ وـاحـدـ تـحـوـلـ إـلـىـ مـلـيـونـيـرـ وـهـوـ فـيـ سـدـةـ الـحـكـمـ.

تفقدـونـ حـضـرـتـكـ لـلـسـلـطـةـ الـأـخـلـاقـيـةـ لـلـتـكـلـمـ عنـ كـوـبـاـ، الـبـلـدـ الـأـبـيـ الـذـيـ قـاـوـمـ 4ـ5ـ سـنـةـ مـنـ الـحـصـارـ الـهـمـجـيـ وـالـحـربـ الـاـقـتـصـادـيـةـ وـالـهـجـمـاتـ الـإـرـهـابـيـةـ الـتـيـ كـلـفـتـ آـلـافـ الـأـرـوـاحـ وـعـشـرـاتـ الـأـلـافـ مـنـ مـلـيـونـ الـدـوـلـارـاتـ كـخـسـائـرـ اـقـتـصـادـيـةـ.

تعـدونـ حـضـرـتـكـ عـلـىـ كـوـبـاـ لـأـسـبـابـ سـيـاسـيـةـ بـائـسـةـ، سـعـيـاًـ لـتأـيـيدـ اـنـتـخـابـيـ منـ قـبـلـ مـجـمـوعـةـ مـتـصـائـلـةـ العـدـدـ مـنـ الـمـرـتـدـينـ وـالـمـرـتـزـقـةـ، بـلـ أـخـلـقـ وـلـ مـبـدـأـ مـنـ أـيـ نوعـ كـانـ. لـيـسـ لـدـيـ حـضـرـتـكـ الـأـخـلـاقـيـ كـيـ تـتـكـلـمـ عـنـ الـإـرـهـابـ، لـأـنـ تـحـيـطـ بـكـمـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـفـتـلـةـ أـنـزلـتـ المـوـتـ بـآـلـافـ الـكـوـبـيـنـ عـبـرـ هـذـهـ الـأـعـمـالـ.

لا تـخفـونـ حـضـرـتـكـ الـاستـخـافـ بـالـحـيـاةـ الـبـشـرـيـةـ، لأنـكـمـ لـمـ تـرـدـدـواـ فـيـ إـعـطـاءـ الـأـوـامـرـ بـقـتـلـ عـدـدـ مـجـهـولـ وـسـرـيـ مـنـ الـأـشـخـاصـ فـيـ الـعـالـمـ بـدـونـ مـحـاـكـمـةـ قـضـائـيـةـ.

لـيـسـ لـكـمـ أـيـ حـقـ، إـلـاـ حـقـ الـقـوـةـ الـهـمـجـيـةـ، بـالـتـدـخـلـ فـيـ الشـؤـونـ الدـاخـلـيـةـ لـكـوـبـاـ وـالـإـعـلـانـ عـلـىـ مـزـاجـكـمـ عـنـ الـاـنـتـقـالـ مـنـ نـظـامـ إـلـىـ آـخـرـ، وـاتـخـاذـ إـجـرـاءـاتـ مـنـ أـجـلـ الـقـيـامـ بـذـلـكـ.

يـسـتحقـ الـأـمـرـ أـنـ تـعـرـفـواـ أـنـ يـعـكـنـ إـنـفـاءـ هـذـاـ الشـعـبـ، وـمـسـحـهـ مـنـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ، وـلـكـنـ لـيـسـ مـقـهـورـاًـ وـلـ خـاضـعـاًـ مـنـ جـدـيدـ لـصـفـةـ مـسـتـعـمـرـةـ جـدـيـدةـ لـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ.

تـكافـحـ كـوـبـاـ مـنـ أـجـلـ الـحـيـاةـ فـيـ الـعـالـمـ، وـحـضـرـتـكـ تـكـافـحـونـ مـنـ أـجـلـ الـمـوـتـ. فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ تـقـتـلـونـ فـيـهـ عـدـدـاًـ لـيـحـصـىـ مـنـ الـأـشـخـاصـ بـهـجـمـاتـ الـعـشوـائـيـةـ الـوـقـائـيـةـ وـالـمـفـاجـئـةـ، تـنـقـذـ كـوـبـاـ الـأـلـافـ مـنـ أـرـوـاحـ الـأـطـفـالـ وـالـأـمـهـاـتـ وـالـمـرـضـيـ وـالـمـسـيـنـ فـيـ الـعـالـمـ.

الـأـمـرـ الـوـحـيدـ الـذـيـ تـعـرـفـونـهـ حـضـرـتـكـ عنـ كـوـبـاـ هوـ الـأـكـاذـيبـ الـتـيـ تـطـلـقـهاـ الـأـفـوـاهـ الـنـهـمـةـ مـنـ الـمـافـيـاـ الـمـرـتـشـيـةـ وـلـ تـشـيـعـ الـمـكـوـنـةـ مـنـ بـاتـسـتـيـنـ سـابـقاًـ وـمـنـ الـمـتـحدـرـيـنـ مـنـهـمـ، الـخـبـراءـ فـيـ أـعـمـالـ الـعـشـ الـاـنـتـخـابـيـ وـالـقـادـرـيـنـ عـلـىـ اـنـتـخـابـ أـحـدـ لـمـ يـحـصـلـ عـلـىـ الـعـدـدـ الـكـافـيـ مـنـ الـأـصـوـاتـ لـلـفـوزـ رـئـيـساًـ فـيـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ.

لا يـعـرـفـ أـبـنـاءـ الـبـشـرـ وـلـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـعـرـفـواـ الـحـرـيـةـ فـيـ طـلـ نـظـامـ عـدـمـ مـسـاـوـةـ كـالـنـظـامـ الـذـيـ تـمـلـوـنـهـ حـضـرـتـكـ، لـاـ يـولـدـ أـحـدـ كـالـآـخـرـ فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ. وـفـيـ تـجـمـعـاتـ غـيـرـ الـأـشـخـاصـ الـمـتـحدـرـيـنـ مـنـ أـصـلـ إـفـرـيقـيـ وـلـاتـينـيـ، وـفـيـ تـجـمـعـاتـ الـهـنـودـ الـذـينـ قـطـنـواـ هـذـهـ الـأـرـضـ وـتـمـتـ إـيـادـهـمـ، لـيـسـ هـنـاكـ مـنـ مـسـاـوـةـ أـخـرـ غـيـرـ مـسـاـوـةـهـمـ فـيـ كـوـنـهـمـ فـقـراءـ وـمـسـتـبـيـنـ.

إنـ شـعـبـناـ الـذـيـ تـرـبـيـ عـلـىـ التـضـامـنـ وـالـأـمـمـيـةـ لـاـ يـحـقـدـ عـلـىـ الشـعـبـ الـأـمـرـيـكـيـ وـلـ يـتـمـنـىـ أـنـ يـرـىـ شـيـانـ بـلـدـهـ الـجـنـودـ يـمـوتـونـ، الـبـيـضـ مـنـهـمـ وـالـزـنـوجـ وـالـخـلـاسـيـنـ، وـالـأـمـرـيـكـيـنـ الـلـاتـيـنـيـنـ فـيـ أـحـيـانـ كـثـيـرـةـ، مـمـنـ جـرـتـهـمـ الـبـطـالـةـ إـلـىـ الـانـضـوـاءـ فـيـ وـحدـاتـ عـسـكـرـيـةـ لـكـيـ يـتـمـ إـرـسـالـهـمـ إـلـىـ أـيـ رـكـنـ مـنـ الـعـالـمـ لـلـقـيـامـ بـهـجـمـاتـ غـارـدـةـ وـوـقـائـيـةـ أـوـ فـيـ حـرـوبـ فـتـحـ.

أـعـمـالـ التـعـذـيبـ الـتـيـ لـاـ تـصـدـقـ الـمـطـبـقـةـ عـلـىـ الـأـسـرـىـ فـيـ الـعـرـاقـ أـذـهـلـتـ الـعـالـمـ.

سـيـقـ وـقـلـتـ يـأـتـيـ لـأـسـعـيـ لـإـهـانـتـكـمـ عـبـرـ هـذـهـ السـطـورـ. إـنـمـاـ آـمـلـ أـنـ يـصـعـ مـسـاـعـدـ لـكـمـ هـذـهـ الـحـقـائقـ أـمـاـكـمـ فـيـ لـحـظـةـ فـرـاغـ عـنـدـكـمـ، مـعـ أـنـهـاـ فـيـ الـوـاـقـعـ لـيـسـ مـحـلـ إـعـجـابـكـمـ الـمـطلـقـ. لـقـدـ قـرـرـتـكـمـ حـضـرـتـكـ أـنـ قـدـرـنـاـ قـدـ أـصـبـحـ مـكـتـوـبـاًـ، وـبـسـعـدـنـيـ أـنـ أـسـتـوـدـعـكـمـ كـالـخـطـبـاءـ الـرـوـمـانـ الـذـينـ كـانـواـ يـذـهـبـونـ لـلـقـتـالـ فـيـ السـيـرـكـ: سـلـمـتـ يـاـ قـيـصـرـ، فـالـذـاهـبـيـنـ لـلـمـوـتـ يـحـيـونـكـ.

إنما يؤسفني فقط أنه لن يكون بوسعي أن أرى وجهك، لأنه في تلك الحالة تكونون حضرتكم على مسافة آلاف الكيلومترات، وأكون أنا في الخندق الأمامي للموت دفاعاً عن وطني.

باسم الشعب الكوبي.

فيديل كاسترو روس

Versiones Taquigráficas - Consejo de Estado

- [http://www.fidelcastroruz.biz/ar/discursos/khtb-khsmin-lhkwm-lwlyt-Source URL:
mthd?page=0%2C13%2C0%2C0%2C0%2C2%2C1%2C0%2C2](http://www.fidelcastroruz.biz/ar/discursos/khtb-khsmin-lhkwm-lwlyt-Source URL:mthd?page=0%2C13%2C0%2C0%2C0%2C2%2C1%2C0%2C2)

اتصالات

[1] <http://www.fidelcastroruz.biz/ar/discursos/khtb-khsmin-lhkwm-lwlyt-lmthd>